يا سيدة الزمن المثقل ...

فلمن اقرأ حتى الان كتابا أول ؟ »

خلف استدارات الحدث الذي يصيغ بنية القصيدة ، يقع ايقاع هادىء ، يقترب من لغة النثر ويحاذيها ، ينساب ببساطة تجعله يسقط في بعض الاحيان في الحدث نفسه او يرصف جملا الى جانب بعضها كما في قصيدة « نجمة سبارتاكوس ». دون ان يتقدم الايقاع ، ومع انفلاشات لا مبرر لها لبنية القصيدة ، فيعود الموضوع هنا موحدا ، وليس عنصرا خفيا داخل السياق كما في قصيدة « اوراق من ملف المهدي بن بركة » . هذا التأرجح الذي يظهر في بعض القصائد هو ضريبة الانتقال بمفهوم القصيدة نفسه من كونها سلسلة معان الى تحولها الى مجموعة مواقف تحتضن الواقع وتعيد صياغته .

في مجموعة سعدي يوسف الاخيرة ، نتابع معاناة البحث عن القصيدة الجديدة ، التي تعيد صياغة الواقع الشعري ، وتعيد الى الكلمة دلالتها كجزء من السياق الذي لا ينفذ في قراءة واحدة .

اقبل الزمن المستحيل

يستعير ممدوح عدوان لنفسه صوت النبوة ، فهو في مجموعته الجديدة « أقبل الزمن المستحيل »[1] يضع صوته الشعري داخل انهيارات الزمن العربي ، ليكتب مرثية للزمن الذي يتعامل معه من خلال مستويين : مستوى داخلي ، وصفي ، حيث يحاول التقاط محاور هذا الزمن ، فجيعته ، وانهياراته ولا ثباته . هنا تستعير اللغة الشعرية جميع عناصر المحاكاة ، والوصف والتشبيه . انها تحاول ان تلتقط من خلال الظاهرة الاجتماعية ، محاور الواقع ، فتنغرس في تفاصيله ، تلتقطها لا لتقدم صورة عنها، بل لتضعها في المستوى الثاني، الذي يشكل مفتاح فهم التجربة الشعرية في هذه المجموعة . هنا يرتفع الرثاء النبوي . مجموعة عدوان ، هي محاولة لرثاء الزمن العربي ، انها نبوءة عكسية ، لا تتنبأ بما سيحصل ، بل بما حصل فعلا ، اي انها ليست مرثية شاملة ، بل محاولة للرثاء بوصف الشعر اكتشافا واعادة اكتشاف الواقع . بين هذين المستويين ، تتشكل قصائد المجموعة في صوت واحد ، وموضوع واحد، ينوع اشكاله ليخلص الى نتيجة واحدة . من هنا ضمور البحث التشكيلي ومحاولة اقتلاع عناصر تراثية ووضعها في صيغ جديدة . هذه العودة الى رموز التراث ليست عودة رمزية بما عدا في قصيدة واحدة ، حيث يركز الشاعر على وضعية احراق السفن في زمن طارق بن زياد . الرمز هنا غائب انه مجرد اشارة ، تلتقط الذاكرة التراثية الشعرية ، وتقوم بوضعها داخل شروط جديدة . من هنا تكتسب الاشارات الرمزية في القصيدة دلالة آنية تأخذها من سياقها الشعري الجديد وليس من مضمونها التراثي . لكن هذه الدلالة ، لا تتحرر في المقابل من شروط استخدامها الجاهز ، لذلك يختلط زمن الذاكرة بالزمن المعاصر الذي تحاول القصيدة صياغته ، وتقع على صراخ حداد ، نكتشف في داخله صوت الشاعر الذي يقف على مشارف النبوة دون ان يصيغ لغتها .

زمن الفقراء

« يشهر السيف جوعي ، وخوفي تمزق
كيف اخبىء سيفي وجوعي معي ؟
والطريق استحالت صحارى » .

زمن الفقراء، هو زمن البداية في هذه المجموعة. صوت الشعر ، هو محاولة للوصول الى التعبير الحقيقي عن الحزن والالم ، انطلاقا من هذا الجوع الساحق ، الذي يحول الارض الى صحارى في زمن هش ومليء بالفراغات . بين فراغات الزمن ، الهزائم ، يرفع الفقراء صوتهم النبوي . وصوتهم هو في النهاية ، صوت الطريق الى الخلاص الاجتماعي الحقيقي ، فهم الذين يحملون الوطن

---

[1] ممدوح عدوان : **أقبل الزمن المستحيل** . منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ .